Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بشارة الذي يعمل في الحزب الذي كان بليغ ينتسب إليه، فبات يجأر: "إنني بحاجة إلى أن أزيل عن كياني كل آثار تلك الكلمة المنافقة: رفيق". والأحياء في هذا الجنون كالأموات الذين تخصّهم الرواية بفصل سورة العنكبوت.

ونوح الأول في هذا العالم الكابوسي مثل نوح الثاني: نوح الحشيش مثل نوح السفينة مثل عادل الدودة أبو النجمتين الذي صار نقيباً يهرب قطع الإكسسوار من لبنان، ويبيع قسائم البنزين والمازوت، ويسخر عساكره في أشغاله، ويحتال على مال بليغ بعد عودته من بيروت هرباً من عماد وحزبه.

إنها بامتياز التعرية الروائية للراهن السوري واللبناني العربي والكوني: الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد الذي سيفقش أبطال الجنون في عينه الحصرم، الكائنات والأشياء التي صارت فوتوكوبي، بيروت كذبة الحرية والواحة التي هي مستنقع من وحول الهجانات، كذبة (سوا ربينا) وحرب الإسكندرات من جارك إلى داخلك إلى رجالات البورصة إلى جنرالات الجيوش الكبرى، الحكومة التي يظن بليغ إبان عودته إلى طرطوس أنها أكبر بألف مرة من الناس، خطوبة عادل لبنت عقيد وشرائه لبيت في الشام: كل شيء يتفسخ بفضل المهمات الجليلة، الدود يقرض خيوط العلاقات بين الجار وجاره، الرفيق ريغان والقديس غورباتشيف وصومالستان وهرسكستان والسفر مع الناقة بالطائرة لتصحّ معادلة الأصالة والحداثة، وحروب التحرير التي تبدأ بالتحرر من المواطن، والديمقراطية العربية التي لم تسمع بالتعارض ولا بالمعارضة، بل أساسها الإجماع، وفلسفة الأستاذ الذي اشترى الجميع: ادفع تربح، وفروم يندە: أن نملك أو نكون، وبليغ الحمود يندە: يا إلهي: كم يتغير كل شيء بسرعة تثير الدوار!

***

تكشف الرواية أخيراً أن شقيقة بليغ الضائعة (أنثى الحياة المتجددة) قد تزوجت من منقذ حداد، وأنها عادت مع ولديها من كندا، وأن منقذ دفع للجميع حتى انتقل بليغ من سجن الأستاذ إلى يد فيدِ وصولاً إلى الحفل الختامي.

كذا بقي بصيص ضوء في هذه الأسرة، وبخاصة في الطفلين: بليغ الذي يكتب الشعر ويحب الموسيقى، وعادل الذي يرسم فتّي الحفل وجوه النساء. ولئن كان في هذه الخاتمة ما يشي بالبوليصية الساذجة، فرواية (فردوس الجنون) تجدد الألق الروائي الذي منحته الحرب الأهلية اللبنانية لغادة السمان وإلياس خوري واسماعيل فهد اسماعيل، وتتجاوز ما قدم من سورية عن هذه الحرب ياسين